القسم الأول

الدولة الأيوبية

1

الفصل الأول

الأوضاع العامة للخلافتين - العباسية و الفاطمية - قبيل ظهور الدولة الأيوبية

أولا / الأوضاع السياسية:

الخلافة العباسية.

الدولة السلجوقية.

الدولة الفاطمية.

ثانيا/ الأوضاع الاقتصادية.

ثالثا / الأوضاع الاجتماعية .

توطئة:

كان المشرق العربي الإسلامي يعاني من الخلافات والفتن والحروب خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وبلغت الحروب بين القوى المتصارعة على السلطة ذروتها خلال السنوات القليلة التي سبقت الغزو الصليبي ،كان النزاع الرئيسي بين كتلتين كبيرتين هما الخلافة العباسية وعاصمتها بغداد والخلافة الفاطمية وعاصمتها القاهرة(1).

ومع ان الخلافة العباسية قد ضعفت وتحولت إلى سلطة روحية فقط منذ النصف الثاني من القرن الثالث الهجري إلاّ أن بعض الخلفاء العباسيين المتأخرين حاولوا استعادة قوة الخلافة ومجدها القديم فاصطدموا مع سلاطين الدولة السلجوقية التي كانت تشكل القوة الرئيسية في المشرق العربي الإسلامي، وتسيطر على اغلب مناطقه(2).

ومن جهة أخرى تعرضت الخلافة الفاطمية لنزاعات وانقسامات داخلية نتج عنها ظهور فرقة الباطنية (3)التي لعبت دورا كبيرا في الصراع الدائر في المنطقة، واستغلت بعض القبائل العربية في العراق وبلاد الشام الصراع بين القوى الأخرى فأنشأت إمارات قوية في جنوب العراق وشماله وفي بعض مناطق بلاد الشام، وكان لها دور كبير ايضا في تشكيل الظروف السياسية في المنطقة، والتعرف على الظروف السياسية في المشرق العربي الإسلامي خلال الفترة المذكورة، فكان لابد من بيان اوضاع كل من القوى التي ساهمت في تشكيل هذه الظروف .أولا /الأوضاع السياسية:

- الخلافة العباسية:

بدأ الضعف يتسرب إلى جسم الدولة العباسية المترامية الأطراف في العقدين الأخيرين من القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، عندما بدأت بعض الولايات البعيدة عن مركز الخلافة العباسية – بغداد – تنفصل مشكلة دولا مستقلة، وتعجز الخلافة عن اعادتها للسيطرة المركزية، إذ تأسست دولة الأدارسة في أقصى المغرب العربي عام 172هـ/788م، كما تأسست دولة الأغالبة في تونس عام 184هـ/800 م، ثم قامت الدولة الفاطمية على انقاض الدولتين المذكورتين عام 297هـ/909م، وفي مصر قامت الدولة الطولونية عام 254هـ/868 م، اعقبتها

الدولة الأخشيدية عام 323هـ/ 935م، وفي عام 358هـ/ 969م، استولى الفاطميون على مصر، وجعلوا القاهرة عاصمة لهم (4).

وهكذا خرج المغرب العربي ومصر بشكل تدريجي من حيث المكان والزمان عن نطاق الدولة العباسية، وظهرت خلافة جديدة تسيطر على النصف الغربي من العالم الإسلامي، وتسعى للسيطرة على النصف الشرقي الذي تشرذم هو الأخر إلى دويلات، فقد قامت الدولة الطاهرية في خراسان 205هـ/ 820م، وتبعتها الدولة الصفارية عام 254هـ/867م، ثم غلبت عليها الدولة السامانية التي تأسست عام 204هـ/819م، في بلاد ما وراء النهر، ثم امتد نفوذها لتشمل جميع البلاد التي كانت تبعاً للدولة الصفارية .(5)

وكان نفوذ الدولة العباسية يتقلص تدريجيا مع قيام هذه الدول حتى صار يقتصر على العراق، وبدأت الخلافة تتحول من سلطة سياسية إلى سلطة روحية، ولم يبق للخليفة سوى ذكر اسمه في خطب الجمعة متبوعا باسم السلطان الغالب على البلاد .

ويعود السبب الرئيسي في ضعف الخلافة العباسية وتلاشي سلطتها إلى اعتماد الخلفاء العباسيين على العناصر غير العربية في إدارة دولتهم، فقد اعتمدوا في بداية الأمر على العنصر الفارسي، وصار وزراؤهم من الفرس هم الذين يعينون الولاة ويعزلونهم ويتحكمون في توزيع أموال الدولة، وقد تنبه الخلفاء إلى خطرهم فقضوا عليهم .

ثم كان للترك حظوة كبيرة في خلافة المعتصم (218–227هـ)، الذي قربهم واسند لهم المناصب العليا في مركز الدولة والولايات واعتمد عليهم في حراسة قصره، حتى تطاولوا على الناس وكثرت شكاوي الناس عليهم في بغداد، فبنى لهم المعتصم مدينة سامراء، وجعلها عاصمة له ومن حوله حاشيته من الاتراك فزاد نفوذهم وصاروا وحدهم المتسلطين على أمور الخلافة والدولة حتى صاروا هم الذين ينتخبون الخليفة الذي يريدون ويعزلون أو يقتلون من لا يوافقهم في رغباتهم .(6)

وفي عام 334هـ/945م استولى البويهيون على العراق، واضافوه إلى دولتهم التي تأسست قبل ذلك في فارس، وصاروا هم المتسلطين على شؤون الخلافة، وتعسفوا في معاملة الخليفة حتى انهم عذبوا بعض الخلفاء وسجنوهم وقتلوا البعض الأخر، وكان بامكانهم انهاء الخلافة العباسية والدعوة للخلافة الفاطمية في العراق وباقي المشرق الإسلامي "خاصة بعد استيلاء الفاطميين على مصر" لكنهم لم يفعلوا ذلك ليس حفاظا على الخلافة العباسية، بل حفاظا على